العدد (1192) الاثنين (7) نيسان 2008
NO. (7) Mon . (1192) April

من هذه الفتاة وما قصتها ؟

قبلَ ما يقرب (٥٠) عاماً انتشرت في العراق صورة لفتاة جميلة أصبحت مثار حديث الناس وأقاويلهم وحتى شائعاتهم وسميت الفتاة (بنت المعيدي) ولمعرفة حقيقة هذه الصورة تحدث الباحث أحمد محمد الكركوكلي قائلاً:

قبل نصف قرن تقريباً ظهرت في الساحة الفنية لوحة جميلة معبرة .. استقطبت اهتمام الناس والفنانين واصبحت مدار حديثهم في المجالس واللقاءات.. هذه اللوحة كان لها موقعها الخاص في كل مكان.. في البيت.. في المحال.. وفي المطاعم والفنادق والمقاهي الشعبية وأصبحت النسوة والفتيات يعشقن الوجه الملائكي المطبوع على اللوحة قبل الرجال ومن هم في أعمار المراهقة والشباب.

اللوحة التي كانت تحمل اسم (فاطمة صمانجي قيزي) أي (فاطمة بنت التبان) رسمت من قبل رسام هاوٍ عاشق.. وبعد ان حظيت باهتمام الفنانين والنقاد طبعت اللوحة بالملايين واستنسخت عنها نسخ ونسخ ووزعت بين دول عديدة بطبعات متكررة نتيجة الطلب عليها من عشاق الفن والجمال.. وتكمن وراء هذه اللوحة المتميزة أسرار كبيرة.. وان لم يفصح عنها الفنان (هونر) بلسانه وانما عبرت عنها فرشاته عبر خباياها بوضوح صادق.

في وجه فاطمة صمانجي قيزي اشراقة صباح هادئ وفي عينيها إبحار الى الاعماق وفي شفتيها نبع خالص يفيض باصالة كركوك التي تروي بيادر المحبة والعطاء. واذا كان الفنان المبدع ليوناردو دافنشي يعتز بعمله الخالد (موناليزا) وبالسر الذي رسمه فوق شفاهها الندية بابتسامتها الغامضة.. فلابد ان يعتز عاشق الجمال الكركوكلي (هونير) بوصوله الى مرتبة الفنانين الكبار عن طريق الحب الخالد الذي قاده نحو اللوحة التي انجزها بنبضات قلبه الولهان.. القصة تبدأ من ايام الحرب العالمية الأولى حيث توجد في وطننا قوات أجنبية غازية.. وعن طريق المصادفة تتعانق نظرات ضابط احدى هذه القوات مع نظرات عينين جميلتين سحرتا الضابط في الحال.. وأصبح أسير هواها.. وهذا قدر المحبين الهائمين.. ينسون أنفسهم ويواجهون الأمواج والأعاصير غير آبهين بنتائجها ولكي يتوج هذا العشق بالصدق وصفاء النية أرسل الى أهلها من يخبرهم بموقف العاشق الولهان لطلب يدها مبدياً رغبته باعتناق الدين الاسلامي وقبوله كل الشروط التي تفرض عليه، إلا ان العادات الاجتماعية والأحكام الدينية وقفت حائلاً أمام رغبات وآمال الضابط الفنان، وجعلته يغلي حزناً الى درجة الجنون ولكن ما في اليد حيلة سوى المحاولة تلو الأخرى.. ولكنها كانت تصطدم بجدار الرفض القاطع إذ كيف يمكن لغريب القوم ان يجد له مكاناً ويتزوج بإرادته من أراد حتى ولو كانت من أفقر بنات المدينة.. وهكذا كانت التقاليد الاجتماعية وهكذا تم غلق الأبواب بوجهه الى الأبد.

تعلّقَ قلبهُ بكركوكلية فأصبحت صورتها قضية..!

وهناك قصص وروايات عديدة . حقيقية أو مؤلفة تروي هذا العشق الفريد الذي لم يتوج بلقاء لأن الفتاة تنتمي الى عائلة معروفة في المدينة فقد سارعت عائلتها عند علمها بالموضوع الى ابعاد ابنتهم عن الأنظار حتى لا يقتفي اثرها.. ويقال انها أجبرت على الإقامة في أحدى دور أقاربها وبحراسة مشددة لحين رحيل آخر فرد من القوات الأجنبية.

ورحلت القوات الأجنبية عن بلادنا ورحل الضابط الهائم الولهان وحمل في أعماقه خيال الوجه الذي انطبع على شغاف قلبه، ليزيد من شوقه وحنانه حتى وهو في بلده وبين أهله وأحبابه.. بقيت المشاعر تتأجج في داخله ويكاد يتمزق من شدة الشوق والحنين والحسرة.. ماذا يفعل أمام هذا الخيال الذي لم يفارقه لحظة حتى وهو بعيد عنها، أخذ فرشاته وراح يداعب اللوحة بألوانه المتعددة مستلهماً أيامه الحالمة في كركوك ويصنع لوحة أخاذة.. لم يتغير لونها برغم غبار السنين.

اول الغيث

(سوق الجديد) ما احلاكِ وانتِ (جوهرة) الكرخ ..

عادل العرداوي

تلقينا هدية ثمينة من الاديب الباحث انور عبد الحميد الناصري ، ثلاثة اجزاء من كتابه المتسلسل (سوق الجديد / محلة مضيئة من الجانب الغربي ببغداد) هي الاقسام الثاني والثالث والرابع الاخير من الجزء الاول من ذلك السفر التاريخي والادبي النفيس حيث جادت يراعه وقريحة هذا الاديب البغدادي بها.

فقد سبق للباحث الناصري ان اصدر القسم الاول من الجزء الاول من هذا الكتاب الممتع والمشوق (سوق الجديد) في نهاية ثمانينات القرن العشرين المنصرم ، وحصلنا على نسخة منه وقتذاك .. ولم يتسنَ لنا الوقت المناسب ان نحصل على الاقسام الثلاثة من هذا السفر الا بعد ان التقينا ثانية بصديقنا الاديب (ابو انور) في ندوات مجلس عشاق بغداد التي تعقد في (الجمعة) الاولى من كل شهر في قاعة نادي الصيد ، حيث ابدينا رغبتنا في الحصول علينا وفعلاً تسلمنا الهدية الثمينة من الناصري في الوقت المحدد ..ولابد من الاشارة هنا ، الى ان انور الناصري اعتمد التوثيق الميداني والتحقق بنفسه من صحة المعلومات التي يحصل عليها ويتثبت منها من ابناء محلته العتيدة التي سحرته وافتتن بحبها واعني بها (سوق الجديد) التي تعد واحدة من ابرز محلات الكرخ القديمة ، التي تربى الناصري فيها وعاش في ازقتها ودروبها احلى ايام طفولته وفتوته ، وظل شغوفاً بها ، يحن اليها بشوق عارم .. وذلك هو الوفاء بعينه من هذا الرجل او الولد البار لأمه العزيزة (سوق الجديد) ولهذا فليعمل المخلصون .

ومبادرة هذا الرجل تدفع بنا لان نشد على يديه اولاً ، ولان نشجع الآخرين من الادباء والمؤلفين للكتابة عن محلاتهم البغدادية التي عاشوا وترعرعوا فيها ردحاً من الزمن ..

ومبادرة هذا الرجل تدفع بنا لان نشد على يديه اولاً ، ولان نشجع الآخرين من الادباء والمؤلفين للكتابة عن محلاتهم البغدادية التي عاشوا وترعرعوا فيها ردحاً من الزمن ..

وهم أدرى واعلم بمكانة تلك المحلات واسرارها وعوائلها والحوادث التي شهدتها ، والذي يكتب عن محلته يكون (شاهد عصر) على عصر مرّ واصبح في ذاكرة التأريخ .

قابل غوبلز وعبر مضيق جبل طارق سباحةً وأتقن (١٦)

يونس بحري الرجل الأسطورة.. بدأ حياته عروبياً وحدوياً وانتهى عبثياً

كانَ يونس بحري عنصراً فعالاً في الحياة الاجتماعية والسياحية اضافة الى عمله في الصحافة والسياسة.. ففي كتابه (من الفولكلور العراقي.. الحياة الشعبية على شواطئ دجلة).. يذكر الكاتب حمودي ابراهيم الوردي ما يأتي: (استأجر السائح العراقي المعروف الاستاذ يونس بحري من أمانة العاصمة سنة ١٩٣٢ جزرة (الكاورية) لمدة تسع وتسعين سنة، وأطلق عليها (جزيرة السندباد) وهو أول من أسس المصايف البغدادية على وفق أحدث الأساليب في الاصطياف، حيث أنشأ فيها مسابح ومراقص ومطاعم شرقية وغربية وقد شيدها على هيئة (جراديغ) بلغ عددها مئة (جرداغ).. وعندما دخل العراق عضواً في عصبة الأمم سنة ١٩٣٢، أقام يونس بحري احتفالاً كبيراً بتلك المناسبة في جزيرة السندباد حضره جمع غفير من المدعوين يقدر عددهم بألفي نسمة..وعن فترة عمله في اندونيسيا مع صديقه الحميم الشيخ عبدالعزيز الرشيد حيث أصدرا معاً مجلة (الكويت والعراقي) سنة ١٩٣٠ ذكرت جريدة العمل الموصلية بتاريخ ١٩ شباط / سنة ١٩٣٢ ما يأتي: (وفد الى بغداد السائح العراقي يونس بحري من بتافيا عاصمة اندونيسيا عن طريق الحجاز. مصر. فلسطين ، سوريا حيث بقي فيها نحو سبعة اشهر بعد ان قام وصديقه الرشيد بمقاومة أفكار المبشرين المستعمرين. كما انهما قاما بدعم الصلح بين الحزبين المتنافرين الرئيسين في البلاد (حزب العلويين) المحافظين على القديم وحزب (الارشاديين) المتمردين هناك وإصلاح ذات البين بينهما.. علماً ان في اندونيسيا جمعية لمقاومة التبشير هي جمعية (الارشاد) وهي عربية بحت وجمعية (شركة اسلام والمحمدية) وأعضاؤها من أهل البلاد الأصليين.الحقيقة التي لابد من ذكرها هي ان هناك انقساماً في الرأي عند الذين يعرفون الرجل.. ففريق منهم معجب به الى درجة الهوس بوصفه اسطورة لن تتكرر.. رجل له طاقات خارقة وصفات مفرطة في الذكاء حتى الاعجاز.. لن يجود الزمان بمثله إلا نادراً.. وهناك في الطرف الآخر فريق ينعته بأصغر النعوت ويصفه بأكره الصفات ولا يعطيه قدر قذى من عين ذبابة.. وما بين الفريقين ضاع حق الرجل.وإنصافاً نقول: ان الرجل بدأ حياته عروبياً وحدوياً مناضلاً صلباً ذا مواهب متعددة الاتجاهات.. ثم انتهى عبثياً لا ملتزماً.. وجودياً بكل معنى الكلمة.. وحين التفت صوب جهتي سريره في آخر حياته في المستشفى الذي دخله في اثر حادث شجار وقع له مع أحد الأشخاص في شارع السعدون قرب تمثال المرحوم عبدالمحسن السعدون لم يلق الى جانبه أحد من الأهل أو الأصحاب.. وعندها نظر في جيوب ملابسه وجد انها خاوية من الدراهم.. رحمه الله فلم يملك في حياته المملوءة بالعجائب داراً أو سيارة أو أي شكل من أشكال الثروة. لقد تهيأ للبحري ان يلعب أدواراً غير اعتيادية ويتقلد مهمات تبدو وكأنها متنافرة في طبيعتها، كالصحفي والدبلوماسي والسائح أمام جامع باريس بعد الحرب العالمية الثانية.. ومفتي اندونيسيا.. فكان تحت صلاحيته تعيين وعزل (٩٣) قاضياً وعمل مستشاراً للملك ليبيا أدريس السنوسي ومذيع راديو برلين في الحرب العالمية وصاحب جريدة (العرب) في باريس.. ثم نقل امتيازها فيما بعد الى بيروت.. وجريدة (حي العرب) وهو الرجل الذي يتقن (١٦) لغة من لغات الأمم.. وهو الرياضي والسباح الذي عبر مضيق جبل طارق سباحة فائزاً بالمرتبة الأولى بسباق دولي (ومن هنا جاء لقبه بالبحري).. زامل (غوبلز) وزير دعاية الرايخ الثالث وتحدث الى (موسوليني) و(هتلر) وقام بجولة حول العالم سيراً على الأقدام باسم (السائح العراقي). وهو أول من قال (حي العرب) ونادى من برلين (بلاد العرب للعرب).

أصدر جريدة (العقاب) سنة ١٩٣٢ في بغداد فكانت سوطاً لاذعاً على الانحراف والفساد والعمالة الأجنبية.. وبعد ان عطلت الجريدة، اصدر في اثرها جريدة (الميثاق) سنة ١٩٣٤ فكانت مثل اختها سيف الحق فكان ينشر فيها المقالات الافتتاحية اللاهبة والخطابات العربية الوحدوية الموجهة الى الشباب الناهض.

شخصيات وأحداث

عندما صار جعفر أبو التمن تاجراً !

حفل تاريخ العراق الحديث بالعديد من الشخصيات السياسية التي كان لها الاثر البالغ على مسار الاحداث والمساهمة في صنعها ومن هذه الشخصيات التي تركت آثارها الفاعلة وكان لها الحضور المميز ومازالت ميداناً خصبا للبحث والدراسة شخصية جعفر ابو التمن والدور الذي قام به في السياسة العراقية واذا عرف الكثير عن ابي التمن كونه سياسياً ووزيرا ونائبا وحزبياً فان الصفة الاخرى له كونه تاجرا مازالت قليلة العناية والاشارة اليها الا بصورة عابرة .. الحاج محمد جعفر بن الحاج محمد حسن بن الحاج داود أبو التمن وهذا هو الاسم الكامل له . ولد في مدينة بغداد عام ١٨٨١ م في محلة صبابيغ الال من اسرة عربية معروفة من اسر بغداد القديمة وقد كانت اسرته تمتهن التجارة ولاسيما تجارة الحبوب (الغلال) وكان جده الحاج داود ابو التمن يمتلك خزانا كبيرا يقع بالقرب من سوق الصفافير في بغداد .. يديره بالتعاون مع ابنائه الحاج محمد حسن (والد جعفر) الحاج سلمان والحاج كاظم . وقد اختلف والد جعفر مع ابيه الحاج داود لبسبب ما ما اضطره للسفر خارج العراق والزواج هناك وقد التزم جعفر جانب وجده في هذا الخلاف وبلغ مستوى التزامه هذا الى انه اصبح يكتب اسمه جعفر حفيد الحاج داود ابي التمن . تعبيرا عن تضامنه مع جده . اما عن ابي التمن الذي التصق بالعائلة لقبا . فيعود الى ان جده كان تاجرا بالرز (التمن) وكان من كبار تجاره اواخر العهد العثماني وصادف ان اشترى كميات كبيرة منه وعندما هبط سعره ما كان منه الا ان احتفظ بتلك الكميات حتى اذا عادت الاسعار وارتفعت ارتفاعا عاليا باعها وحقق لنفسه ثروة طائلة وفيها لقب (ابو التمن) ..

مركز خاص

وجد جده الحاج داود منه علامات الفطنة والذكاء والالمام بالأمور التجارية . مما دفعه الى منحه الثقة الكاملة وعهد اليه بالعديد من اعماله وتجاوز حتى أبناءه وبهذا الصدد يقول كامل الجادرجي في اوراقه كما توسم فيه جده دون اقرانه آيات الفطنة والذكاء وعني به عناية خاصة وعهد اليه ببعض الاعمال بل الاعمال التجارية فقام بها خير قيام ويبدو ان هذه المهمة الثقيلة التي القاها عليه جده وهو في بداية الحياة جعلته ينظر الى ادارة الاعمال التجارية للعائلة الا انه كان بطبعه اجتماعيا لايحب الانعزال عما يجري حوله اذ كان يتحين ويسرق بعض الفرص من الاهتمام بالتجارة للمساهمة في النشاطات الثقافية والاجتماعية والدينية المقامة آنذاك وقد ساهمت المجالس الادبية التي كانت تعقد في بيت جده المفتوح بتطوير شخصيته وبلورة امكاناته وواصبح وهو في سن الشباب يتمتع بمركز خاص في الحياة الاجتماعية والسوق التجارية .. وفي هذا الصدد يقول كامل الجادرجي (واذا كان جعفر في هذا الدور الاهم في حياته لاهم له غير الانصراف الى السوق التجارية وادارة الاملاك وتحصيل المال الا انه كان اجتماعيا بطبعه لايحب الانعزال عن الحياة ويبدو ان هذه الصفة قد اعانته في نشاطه السياسي وانعكست على سلوكياته تجاه الاحداث وخاصة ما يتعلق منها بالامور الاقتصادية التي واجهت البلاد كان لها الاثر على حياة الشعب والوطن والتي كانت تتطلب من ابي التمن اتخاذ قرار ما ان كان في موقع المسؤولية وخاصة اثناء توليه وزارة المالية او ابداء رأي إن كان في موقع المعارضة او تطلب الامر ذلك .

حشّد كل طاقات التجار لخدمة القضايا الوطنية

ومن نشاطاته ذات العلاقة بالتجاره الدور الذي قام به عن طريق غرفة تجارة بغداد اذ اهتم بها وبتطويرها نحو الافضل سيما بعد ان اصبح عضوا في مجلس ادارتها سنة ١٩٢٨ وتقلده رئاسة المجلس بالنيابة من ٢٣ تموز عام ١٩٢٩ الى ٢٦ شباط ١٩٣٥ او رئيسا لها للفترة من ٢٤ تشرين الثاني ١٩٣٥ الى ١٧ تشرين الاول ١٩٣٩ واذ اعتزل رئاسة المجلس لادارة الغرفة فانه اكتفى بعضوية المجلس حتى وفاته في العشرين من تشرين الثاني ١٩٤٥ وقد توج جعفر ابو التمن اهتماماته بشؤون غرفة تجارة بغداد اثناء تسلمه منصب وزير المالية في وزارة حكمت سليمان التي شكلت بعد انقلاب بكر صدقي عام ١٩٣٦ اذ استطاع ان يحصل على منحة من الحكومة بمبلغ ثلاثة آلاف دينار كما عمل على تعديل نظامها بحيث يحصل الغرفة ذات شخصية حكمية لها صلاحيات تملك الاموال المنقولة وغير المنقولة برغم ان جعفر قد واجه العديد من جملة الانتقادات الشديدة من منطلق ان اهتمامه الخاص بغرفة تجارة بغداد وحدها من دون بقية غرف التجارة العراقية الاخرى كونه يشغل منصب رئيسها انذاك مستغلا كونه وزيرا للمالية واذ نرى في هذا الانتقاد جانبا من الصواب والموضوعية الا انه من الناحية الثانية قد عمل على تطوير الغرفة في العراق والاكثر تاثيراً في الحياة التجارية مع ان جانب الحق كان يتطلب من جعفر التقسيم العادل لجهده ورعايته لجميع غرف التجارة وبالشكل الذي يتوافق مع اهميتها والمدن التي تمثها خاصة غرف تجارة البصرة والموصل . ولم ينحصر اهتمام جعفر بالقضايا التجارية انما كان يعمل على اسس تكامل جميع قطاعات الاقتصاد العراقي الصناعية والزراعية والتجارية لذا وجه رعايته الى المشاريع الصناعية وشجع على انشاء مشروعي محلج القطن العراقي وشركة الزيوت النباتية للاستفادة من توفر المادة الاولية لهذين المشروعين في العراق باعتباره ارضا خصبة للزراعة وخاصة لمحاصيل هاتين الصناعتين . اذ كان رئيسا لمجلس ادارة محلج الاقطان العراقية المحدودة ومجلس ادارة شركة استخراج الزيوت النباتية المحدودة ..

قاطع البلاط .

حاول جعفر في مناسبات عديدة حشد طاقات التجار لخدمة القضايا الوطنية والقومية ومنها جمع التبرعات المالية ومثالها البيان الذي وجهه الى التجار العراقيين داعيا اياهم الى التبرع الى القضية الفلسطينية عام ١٩٣٦ . وبعد عودة جعفر ابي التمن من منفاه في جزيرة هنجام عام ١٩٢٣ اعتزل العمل السياسي وانقطع عن الحياة الاجتماعية في بغداد وقد تحاشى الحضور حتى الى البلاط الملكي ولم يزر الملك فيصل الاول بعد عودته من المنفى كما تقضي الاصول لانه كان حانقا عليه بسبب معارضته عودته الى العراق .. ويرى محمد مهدي البصير ان خلفيات هذا الاعتزال يعود الى اسباب شخصية لارتباك تجارته واصابه بخسائر مالية حاول تجاوزها اذ قال البصير ان هناك سببا شخصيا لاعتزال جعفر وهو تجارته وقد اصابته الارتباك ولحقته اضرار مالية جسيمة نتيجة لنشاطه السياسي وقضائه لفترة طويلة مشردا ومنفيا فاراد ان يتفرغ لاعادة تجارته وتلافي ما حصل له من اضرار لكن جعفر نفسه ينفي ذلك في خطابه الذي وجهه الى الامة ونشر في الصحف المحلية يوم التاسع من الشهر السادس من عام ١٩٢٨ اثر انتخابه نائبا عن بغداد بالاجماع جاء فيه . لقد كانت الظروف والعوامل التي احاطت بي منذ عودتي الى الوطن المحبوب من الخليج العربي تضطرني الى التحدث بشيء ما عن هذه الظروف او هاتيك العوامل لاني ارى ان التحدث بشيء من هذا القبيل قد لا يخلوا من تاثير غير محمود الا انني استطيع ان اؤكد والله على ما اقول شهيد ان هذه الظروف وتلك العوامل لم تكن شخصية بوجه من الوجوه وقد كنت ارغب الى حد ما بان استمر على خطتي القديمة التي كان يسودها الاعتزال الظاهر الى ان تسنح لي الفرصة التي ارى انها ملائمة للقيام بعمل صالح في سبيل خدمة الوطن غير ان الثقة التي منحني أياها ابناء قومي الاعزاء اهل للتشرف بها قد اضطرني للنزول عند رغباتهم المقدسة في الحال .

حرية التجارة اولا :

وقدر تعلق الامر بمنهج جعفر ابي التمن التجاري فقد كان مؤمنا بمبدا حرية التجارة ويرى فيه خير نظام يمكن للعراق ان يتبعه بهدف تحقيق نهضته الاقتصادية لكونه بلدا ناميا ويحتاج الى استيراد العديد من متطلبات التطور الصناعي والزراعي مع امكانية اتباع سياسة حكومية متوازنة مابين الناتج المحلي والاستيراد من الخارج فمثلا تجارة التمور يرى جعفر ابو التمن ضرورة تنظيمها وفق اسس تحمي صغار الملاكين من تحكم الشركات وذلك عن طريق قيام الدولة بحصر شراء التمور بيدها ومن ثم قيامها بعملية التصدير بصورة مباشرة او عن طريق انشاء الجمعيات التعاونية .